مشروع طباعة الكتب السلفية ٥٥

دمعة على الإسلام

مقالة لـ مصطفى المنفلوطي

إعتنى بها فضيلة الدكتور/

فهد بن سعد بن إبراهيم المقرن

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

طبع على نفقة بعض المحسنين
في المملكة العربية السعودية غفر الله لهم ولوالديهم

مشروع طباعة الكتب السلفية (٥٥)

«مقالة قصيرة»

د. فهد بن سعد بن إبراهيم المقرن

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ — ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان أما بعد:

فبين أيدينا مقالة قصيرة كتبها أديب مصري كبير في عصره بأسلوبه المعهود العذب الذي ينساب كالشهد، تميز به على أقرانه وأهل زمانه، لكنه في هذه الرسالة يكتب بقلب محترق يعتصره الألم على ما وصلت إليه الأمة الإسلامية، من وقوع بعض الناس في التنديد والشرك بالله في عبادته، يكتب مقالته تلك وهو لم يُعرف بالكتابة في مثل هذه الموضوعات، كتبها وقد هداه الله إلى هذه المقالة لتكون له ذخراً إلى يوم الدين، لقد نطقت فطرته السليمة بهذه المقالة التي تزخر بمعاني التوحيد في مسألة توحيد العبادة، وهذا مما يدل دلالة أكيده على أن القلوب السليمة تألف التوحيد وتبغض الشرك

بالله في عبادته.

وكنت قد قرأت هذه المقالة في صغري فأثرت فيَّ، فأحببت أن أعتني به تسهيلاً لقراءتها والاستفادة منها، وإسهاماً في بيان أن دعوة التوحيد هي دعوة الإسلام الخالص من شوائب البدع والمحدثات كما أمر الله عبادته.

لا أطيل عليك أيها القارئ الكريم بل أدعوك للاستفادة منها، وأرجوا أن ينفع الله بها، وأن تكون من أسباب التبصر في أمر توحيد الله بالعبادة الذي هو أول الواجبات وأهم المهمات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،،،

كتبه:

فهد بن سعد بن إبراهيم المقرن

***

ترجمة المنفلوطي

هو مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي أديب مصري من أم تركية، من أعظم الأدباء العرب في العصر الحديث، كتابيه النظرات والعبرات يعتبران من أبلغ ما كتب بالعربية في العصر الحديث.

ولد مصطفى لطفي المنفلوطي في منفلوط إحدى مدن محافظة أسيوط في سنة ١٢٨٩هـ، ١٨٨٦م، ونشأ في بيت توارث أهله قضاء الشريعة ونقابة الصوفية قرابة مائتي عام، التحق بكتاب القرية كالعادة المتبعة في البلاد آنذاك فحفظ القرآن الكريم كله وهو دون الحادية عشرة ثم أرسله والده إلى الأزهر بالقاهرة، تحت رعاية رفاق له من أهل بلده وقد أتيحت له فرصة الدراسة على يد الشيخ محمد عبده وبعد وفاه أستاذه رجع المنفلوطي إلى بلده حيث مكث عامين متفرغا لدراسة كتب الأدب القديم فقرأ لابن المقفع والجاحظ

والمتنبي وأبى العلاء المعري وكون لنفسه أسلوبا خاصا يعتمد على شعوره وحساسية نفسه.

فلم يترك ساعة يخلو فيها بنفسه إلا أنصرف إلى القراءة فاستطاع أن ينمي ذوقه الأدبي وأن يجمع أتاحت له الشهرة التي بلغها في مجال الأدب.

وافته المنية يوم الخميس ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٢هـ / سنة ١٩٢٤م[1].

***

(١) ينظر في ترجمته تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن الزيات، طبعة دار نهضة مصر، القاهرة. وتاريخ الأدب العربي، لحنا الفخوري، طبعة بيروت، لبنان، المطبعة البولسية، والموسوعة العربية الميسرة، طبعة ١٩٧٢م، القاهرة.

نص المقال:

(كتب إلى أحد علماء الهند كتاباً يقول فيه:

إنه اطلع على مؤلف ظهر حديثاً بلغة (التاميل)[1] وهي لغة الهنود الساكنين بناقور وملحقاتها جنوب مدراس[2]... موضوعه: تاريخ حياة السيد عبد القادر الجيلاني[3] وذكر مناقبه

---

(١) لغة التأميل تعتبر من أقدم لغات الهند كما أن المخطوطات التي كتبت بها هي الأقدم بين اللغات الدرافيدية، واللغات الدرافيدية الخمس هي: التاميلية، تيلوجو، كانَّادا، تولو والمليالم.

(٢) مدينة مدراس مدينة هندية كبيرة تسمى باللغة التاميلة: تشيناي، وهي عاصمة ولاية تامبل نادو الهندية الآن.

(٣) هو عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي ثم البغدادي، ولد بكيلان، ووفد بغداد شاباً سنة ٤٨٨ هـ، وتفقه على عدد من مشايخها، وكان على مذهب الإمام أحمد في صفات الله ﷻ، وبغض الكلام وأهله، وفي القدر، وفي الفروع، خلف شيخه أبا سعيد المُخَرَّمي على مدرسته، ودرَّس فيها وأقام بها إلى أن مات، هذا الشيخ المظلوم.. قد ظلمه أصحاب التصوف والقبوريون=

=فكذبوا عليه.. حتى وصل ببعضهم أن يستغيثون بـه مـن دون الله، فيـسمونه الغوث، والقطب الأكبر، قال الحافظ الذهبي في كتابه السير(٢٠/ ٤٥١) خاتمـاً ترجمة الشيخ عبد القادر بقوله: (وفي الجملة الـشيخ عبـد القـادر كبـير الـشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويـه، واللهُ الموعـد، وبعـض ذلـك مكـذوب عليه)، وقـال عنـه الحـافظ ابـن كثـير في كتابـه البدايـة والنهايـة (١٢/ ٧٨٦): (.. وكان فيه زهد كثير، وله أحوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً، ومكاشفات أكثرها مغالاة، وقـد كـان صالحاً ورعاً، وقد صنف كتاب «الغنية»، و«فتوح الغيب»، وفيهما أشياء حسنة، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة، وبالجملة كان من سادات المشايخ)، أما عقيدته فهي عقيدة أهل السنة والجماعة في الجملة، فننقل طرفا منها من كتبه قال الشيخ/ عبد القادر الجيلاني: (أما معرفة الصانع ﷻ بالآيات والدلالات عـلى وجه الاختصار، فهي أن يعرف ويتيقن أنه واحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» لا شبيه له ولا نظـير، ولا عون ولا شريك، ولا ظهير، ولا وزير، ولا ند ولا مشير لـه، لـيس بجـسم فيمس ولا بجوهر فيحس، ولا عرض فيقضى، ولا ذي تركيب أو آلة وتأليف، وماهية وتحديد، وهو الله للسماء رافع وللأرض واضع). الغنية (٢/ ٧١)، وقال أيضا: (وهو بجهة العلـو مـستو،على العـرش محتـو عـلى الملـك محـيط علمـه=

وكراماته، فرأى فيه من الصفات والألقاب التي وصف بها الكاتب السيد عبد القادر ولقبه بها صفات وألقابا هي بمقام الإلوهية أليق منها بمقام النبوة، فضلاً عن مقام الولاية كقوله: (سيد السموات والأرض)، و(النَّفاع الضرار)، و(المتصرف في الأكوان)، و(المطلع

=بالأشياء) الغنية (١/ ٧١)وقال: (له يدان وكلتا يديه يمين). الغنية (١/ ٧١) وقال: (وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشرع لم يرد بذلك ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك، بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق). (الغنية١/ ٧٣)، وقال أيضاً: (وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء، فيغفر لمن أذنب وأخطأ وأجرم وعصى لمن يختار من عباده ويشاء تبارك العلي الأعلى، لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، لا بمعنى نزول الرحمة وثوابه على ما ادعته المعتزلة والأشعرية). (الغنية ١/ ٧٤). ينظر في ترجمته: الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، للدكتور سعيد القحطاني.

على أسرار الخليقة)، و(ومحيي الموتى)، و(ومبرئ الأعمى والأبرص والأكمه)، و(أمره من أمر الله)، و(ماحي الذنوب)، و(دافع البلاء)، و(الرافع الواضع)، و(صاحب الشريعة)، و(صاحب الوجود التام)، إلى كثير من أمثال هذه النعوت والألقاب!»[1].

ويقول الكاتب:

أنه رأى في ذلك الكتاب فصلا يشرح فيه المؤلف الكيفية التي

(١) من الطوائف الغالية في الشيخ عبد القادر الطائفة البريلوية، وزعموا أنه قال: إن أزمَّة أهل الزمان على قلبي، وأنا المتصرف في عطائهم ومنعهم. وزعموا أنه قال: إن قلوب الناس في يدي، إن أردتُ صرفها عني صرفتها، وإن أردتُ صرفتها إلي. وقال أحدهم: إن الشيخ الجيلاني هو غوث الأغواث، وإن له حق التثبيت في اللوح المحفوظ، وأنه يملك أن يجعل المرأة رجلاً. ونقل البريلوي شيخ الطريقة البريلوية بالهند وباكستان وبنقلاديش: أن الشيخ عبد القادر كان يمشي في الهواء على رؤوس الأشهاد في مجلسه، ويقول: ما تطلع الشمس حتى تسلم عليَّ. وقال البريولي كذلك: إن الشيخ عبد القادر فرش فراشه على العرش، وأنزل العرش على الفرش. ينظر: كتاب البريلوية (٥٧، ٧١) للشيخ إحسان إلهي ظهير.

يجب أن يتكيف بها الزائر لقبر السيد عبد القادر الجيلاني يقول فيه:

«أول ما يجب على الزائر أن يتوضأ وضوءاً سابغاً، ثم يصلي ركعتين بخشوع واستحضار، ثم يتوجه إلى تلك الكعبة المشرفة[1].. وبعد السلام على صاحب الضريح المعظم يقول:

«يا صاحب الثقلين.. أغثني وأمدني بقضاء حاجتي.. وتفريج كربتي.. أغثني يا محيي الدين عبد القادر.. أغثني يا ولي عبد القادر.. أغثني يا سلطان عبد القادر.. أغثني يا باد شاه[2] عبد القادر.. أغثني يا خوجة[3] عبد القادر..».

«يا حضرة الغوث الصمداني[4]، يا سيدي عبد القادر

(١) يعنون بالكعبة المشرفة قبر الجيلاني نعوذ بالله من الشرك.

(٢) معناها: ملك الملوك.

(٣) خوجة هي كلمة تركية، ولقب في معناه الحقيقي المدرس أو المعلم.

(٤) الغوث: أي المغيث لهم عند الشدائد، والصمداني الذي يصمدون له الناس في حوائجهم، وهذا غاية الغلو فيه وجعلوه معبوداً لهم من دون الله الذي قال=

الجيلاني،عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة»[1].

=سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل:٦٢)، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ (الإخلاص:٢) والصمد معناها: السيد الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم.

(١) ومن غلو المتصوفة في الشيخ عبد القادر أن جعلوا للاستغاثة به طقوساً كما ما جاء في كتاب الفيوضات الربانية وفيه: («فائدة» في كيفية الاستغاثة المنسوبة لحضرة سيدنا وسندنا الغوث الأعظم قدس الله تعالى سره العزيز الأعظم ووقت قراءتها وعملها ليلة الثلاثاء إما نصف الليل أو في وقت السحر وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم، إذا وقع لك مهم وأردت أن يدفعه الله عندك..... إلى قوله: ثم تقوم وتخطو إحدى عشرة خطوة إلى جهة العراق إلى يمين القبلة وتقول (في الأولى) يا شيخ محيي الدين (وفي الثانية) يا سيد محيي الدين (وفي الثالثة) يا مولانا محيي الدين (وفي الرابعة) يا مخدوم محيي الدين (وفي الخامسة) يا درويش محيي الدين (وفي السادسة) يا خواجة محيي الدين (وفي السابعة) يا سلطان محيي الدين (وفي الثامنة) يا شاه محيي الدين (وفي التاسعة) يا غوث محيي الدين (وفي العاشرة) يا قطب محيي الدين (وفي الحادي عشر) يا سيد=

=السادات عبد القادر محيي الدين ثم تقول يا عبيد الله أغثني بإذن الله ويا شيخ الثقلين أغثني وامددني في قضاء حوائجي. ....الخ). ينظر: كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية (٤٦،٤٧)، دار العلوم الحديثة، بيروت. وقد أنكر هذه الأوراد الشركية جملة من علماء الهند، ومنهم: الشيخ عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي (صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة)، جواباً على استفتاء ورده عن ورد مشابه لهذا الورد الشركي، فقال: (إن الاحتراز عن مثل هذا الورد لازم. أولاً – هذا الورد متضمن كلمة «شيئاً لله» وقد حكم بعض الفقهاء بكفر من قاله، وثانياً – لأن هذا الورد يتضمن نداء الأموات من أمكنة بعيدة، ولم يثبت شرعاً أن الأولياء لهم قدرة على سماع النداء من أمكنة بعيدة، إنما ثبت سماع الأموات لتحية من يزور قبورهم، ومن اعتقد أن غير الله ﷻ حاضر وناظر، وعالم للخفي والجلي في كل وقت وفي كل آن، فقد أشرك، والشيخ عبد القادر وإن كانت مناقبه وفضائله قد جاوزت العد والإحصاء، إلا أنه لم يثبت أنه كان قادراً على سماع الاستغاثة والنداء من أمكنة بعيدة، وعلى إغاثة هؤلاء المستغيثين، واعتقاد أنه رحمه الله كان يعلم أحوال مريديه في كل وقت، ويسمع نداءهم، من عقائد الشرك، والله أعلم). ينظر: مجموع فتاوى عبد الحي اللكنوي (١/ ٢٦٤)، وقال الشيخ أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي في (التعليق المغني على سنن الدارقطني)، (ص٥٢٠-٥٢١): (ومن أقبح المنكرات وأكبر=

ويقول الكاتب أيضا: إن في بلدة (ناقور) في الهند قبرا يسمى (شاه الحميد)[1]، وهو أحد أولاد السيد عبد القادر – كما يزعمون –

=البدعات وأعظم المحدثات ما اعتاده أهل البدع من ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ بقولهم: يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئاً لله، والصلوات المنكوسة إلى بغداد، وغير ذلك مما لا يعد، هؤلاء عبدة غير الله ما قدروا الله حق قدره، ولم يعلم هؤلاء السفهاء أن الشيخ ﷺ لا يقدر على جلب نفع لأحد ولا دفع ضر عنه مقدار ذرة، فلم يستغيثون به ولم يطلبون الحوائج منه؟! أليس الله بكاف عبده؟!! اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك أو نعظم أحداً من خلقك كعظمتك).

(١) وقد اطلعت على طبعة قديمة لكتاب عنوانه (مواهب المجيد بمناقب الشاه حميد) لمؤلفه محمد بن أحمد لطف الله، مطبوعة بالمكتبة العثمانية بمدراس، سنة ١٣٣٦هـ، وفيه: (أن الشاه حميد تقطب (أي: صار قطباً) في بطن التسعمائة،... وأنه كان يهدي الخلائق ويظهر الحقائق، وأنفذه الله حكمه بين العباد، وانتظروا منه الأمر والنهي في جميع البلاد) مواهب المجيد (٢٤)، وهذا والعياذ بالله شرك في الربوبية وهذا مناقض لقول تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف:٥٤).

وأن الهنود يسجدون بين يدي ذلك القبر سجودهم بين يدي الله، وأن في كل من بلدان الهنود وقراها مزارا يمثل مزار السيد عبد القادر، فيكون القبلة التي يتوجه إليها المسلمون في تلك البلاد والملجأ الذي يلجأون في حاجاتهم وشدائدهم إليه[1]، وينفقون من

(١) والعجيب في الأمر أن الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ المنقول عنه النهي عن دعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، وقد جاء في وصية الشيخ عبد القادر الجيلاني نفسه، لابنه الشيخ عبد الوهاب: (وكل الحوائج كلها إلى الله ﷻ واطلبها منه، ولا تثق بأحد سوى الله ﷻ، ولا تعتمد إلا عليه سبحانه، التوحيد، التوحيد، التوحيد). ينظر: مجالس الفتح الرباني: (ص٣٧٣)، وقال: (يا من يشكو إلى الخلق مصائبه إيش ينفعك شكواك إلى الخلق لا ينفعونك ولا يضرونك، وإذا اعتمدت عليهم وأشركت في باب الحق يبعدونك وفي سخطه يوقعونك وعنه يحجبونك أنت يا جاهل تدعي العلم من جملة جهلك بشكواك إلى الخلق. ..الخ). (الفتح الرباني ص ١١٧ – ١١٨)، وقال: (استغث بالله ﷻ واستعن به على هؤلاء الأعداء فإنه يغيثك... الخ). (الفتح الرباني ص ١٢٢)، وقال: (إذا كان هو الفاعل على الحقيقة فلم لا ترجعون إليه في جميع أموركم=

الأموال على خدمته وسدانته، وفي موالده وحضراته ما لو أنفق على فقراء الأرض جميعاً لصاروا أغنياء.

انتهى نص الكتاب.

هذا ما كتبه إلي هذا الكاتب؛ ويعلم الله أني ما أتممت قراءة رسالته حتى دارت بي الأرض الفضاء وأظلمت الدنيا في عيني، فما أبصر ممن حولي شيئا حزنا وأسفا على ما آلت إليه حالة الإسلام بين أقوام نكروه بعدما عرفوه، ووضعوه بعدما رفعوه، وذهبوا به مذاهب لا يعرفها، ولا شأن له بها.

أي عين يجمل بها أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع، فلا تريقها أمام هذا المنظر المؤثر المحزن، منظر أولئك المسلمين، وهم ركع سجد على أعتاب القبور.

=وتتركون حوائجكم وتلزمون التوحيد له في جميع أحوالكم؟ أمره ظاهر لا يخفى على كل عاقل... الخ). (الفتح الرباني ص ٢٦٣).

أي قلب يستطيع أن يستقر بين جنبي صاحبه ساعة واحدة، فلا يطير جزعاً حينما يرى المسلمين أصحاب دين التوحيد أكثر من المشركين إشراكا بالله؛ وأوسعهم دائرة في تعدد الآلهة؛ وكثرة المعبودات!. لِمَ ينقم المسلمون التثليث من المسيحيين؟ لِمَ يحملوا لهم في صدورهم تلك الموجدة وذلك الضغن؟ علام يحاربونهم؟ وفيما يقاتلونهم؟ وهم لم يبلغوا من الشرك بالله مبلغهم، ولم يغرقوا فيه إغراقهم!؟.

يدين المسيحيون بآلهة ثلاثة، ولكنهم يشعرون بغرابة هذا التعدد وبعده عن العقل، فيتأولون فيه، ويقولون إن الثلاثة في حكم الواحد.

أما المسلمون فيدينون بآلاف الآلهة، أكثرها جذوع أشجار، وجثث أموات، وقطع أحجار، من حيث لا يشعرون![1].

(١) وقد ذكر أئمة الطرق عن شيوخهم ما هو أعظم من هذا، فمثلاً: نسب القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الإحياء والإمامة، والرزق والنصر، بل وصفه=

=بالواحد الفرد الكبير. ينظر: (القصيدة العينية الملحقة بفتوح الغيب للشيخ عبدالقادر جمع محمد سالم أيوب ص١٦٦- ١٧١، والقصيدة الغوثية (الخمرية) ص١٩٥-١٩٨، ط/ الثانية دار الألباب ١٤١٣هـ دمشق)، ونسب النقشبندية لشيخهم على لسانه أنه يحي ويميت، ينظر: (الكواكب الدرية على الحدائق الوردية في آجلاء السادة النقشبندية، تأليف: عبد المجيد الخاني، ت/ محمد خالد ص ٤٠٢، ٤٢٣)، وآخر من أئمة الضلال أطلق صفات الرب كلها على النبي ﷺ ألف كتاباً سماه «الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية». ينظر: الكمالات من تأليف الجيلي ت٨٣٢هـ، ت/ سعيد عبد الفتاح ط/ عالم الفكر القاهرة، ونقل البحيري عمن ينسب للأزهر قوله في شكواه التي قدمها لأحمد البدوي: «فهذا التجاء واستنجاد برجل النبوة النجاد،... والغوث الأوحد، سيدي وولي نعمتي السيد البدوي أحمد:

أيرضيك ياغوث الورى وإمامهم * غبينة أهل الحق والحق ظاهر

فجئنا حماكم نرفع الأمر سيدي * ونطلب دين الله والله ناصر»

قال البحيري: «فأي شرك أصرح من هذا؟ يطلب من الشيخ دخوله في البقاء وهدايته، وصحة جسم الذي يحبهم، إلى آخر ما قال من أحد لا ينفع نفسه، ولا يدفع عنها مضرة». الحماسة الدينية في الرد على بعض الصوفية للبحيري، ت/ د. محمد الخميس ص٥٢-٥٤، ط:الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار العاصمة الرياض.

كثيراً ما يضمر الإنسان في نفسه أمرا، وهو لا يشعر به، وكثيرا ما تشتمل نفسه على عقيدة خفية لا يحس باشتمال نفسه عليها.

ولا أرى مثلا لذلك أقرب من المسلمين الذين يلتجئون في حاجاتهم ومطالبهم إلى سكان القبور ويتضرعون إليهم تضرعهم للإله المعبود.

فإذا عتب عليهم في ذلك عاتب، قالوا: إنا لا نعبدهم، وإنما نتوسل بهم إلى الله، كأنهم لم يشعروا أن العبادة ما هم فيه[1]، وأن أكبر مظهر لإلوهية الإله المعبود أن يقف عباده بين يديه ضارعين خاشعين، يلتمسون إمداده ومعونته، فهم في الحقيقة عابدون لأولئك الأموات من حيث لا يشعرون[2].

---

(١) في أصل المقال (كأنهم يشعرون أن العبادة ما هم فيه) والعبارة لا تستقيم، والصواب (كأنهم لم يشعروا أن العبادة ما هم) لأنه ﷺ يريد أن يبين أن عملهم عبادة لعبد القادر وإن سموه توسلاً)

(٢) وذلك لأن الدعاء هو العبادة كما قال ﷺ: (الدعاء هو العبادة) رواه الترمذي=

جاء الإسلام بعقيدة التوحيد ليرفع نفوس المسلمين، ويغرس في قلوبهم الشرف العزة والأنفة والحمية، وليعتق رقابهم من رق العبودية، فلا يذل صغيرهم لكبيرهم ولا يهاب ضعيفهم قويهم، ولا يكون لذي سلطان بينهم سلطان إلا بالحق والعدل، وقد ترك الإسلام بفضل عقيدة التوحيد ذلك الأثر الصالح في نفوس المسلمين في العصور الأولى، فكانوا ذوي أنفة وعزة، وإباء وغيرة، يضربون على يد الظالم إذا ظلم، ويقولون للسلطان إذا جاوز حده[1]: قف مكانك، ولا تغل في مقدار نفسك،فإنما أنت عبد مخلوق لا رب معبود، وأعلم أنه لا إله إلا الله.

هذه صورة من صور نفوس المسلمين في عصر التوحيد.

=ك التفسير(٢٩٦٩)، وابن ماجه ك: الدعاء (٣٨٢٨) من حديث النعمان بن بشير ﷺ، فالدعاء هو أفضل مقامات العبد، والعبد حينما يدعو إما أن يكون سائلاً، وإما أن يكون مثنياً، وكلاهما عبادة.

(١) في الأصل (حدها غيرها) ولعل ما أثبته هو الأولى.

أما اليوم وقد داخل عقيدتهم ما داخلها من الشرك الباطن تارة والظاهر أخرى،فقد ذلت رقابهم، وخفقت رؤوسهم، وضرعت نفوسهم، وفترت حميتهم، فرضوا بخطة الخسف، واستناموا إلى المنزلة الدنيا، فوجد أعدائهم السبيل إليهم، فغلبوا على أمرهم، وملكوا عليهم نفوسهم، وأموالهم، ومواطنهم، وديارهم، فأصبحوا من الخاسرين.

والله، لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم، ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة وهناءتها، إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد[1].

---

(١) وصدق الكاتب رحمه الله لأن الله عز وجل وعد أهل الإسلام بالتمكين بشرط إقامة التوحيد في الأرض فقال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

وإن طلوع الشمس من مغربها، وانصباب ماء النهر في منبعه، أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده، مادام المسلمون يقفون بين يدي الجيلاني كما يقفون بين يدي الله، ويقولون للأول كما يقولون للثاني: (أنت المتصرف في الكائنات، أنت سيد الأرضين والسموات).

إن الله أغير على نفسه من أن يسعد أقواماً يتخذونه وراءهم ظهرياً، فإذا نزلت بهم جائحة، أو ألمت بهم ملمة،ذكروا الحجر قبل أن يذكروه، ونادوا الجذع قبل أن ينادوه.

بمن استغيث؟ وبمن استنجد؟ ومن الذي أدعوه لهذه الملمة الفادحة؟

أأدعو علماء مصر وهم الذين يتهافتون على (يوم الكنسة)[1] تهافت الذباب على الشراب؟

(١) (يوم الكنسة: كان في مصر، كان الناس يتهافتون على تكنيس قبر الإمام الشافعي رحمه الله، في يوم معين من أيام السنة، يوم واحد فقط).

أم علماء الآستانة[1] وهم الذين قتلوا جمال الدين الأفغاني[2] فيلسوف الإسلام ليحيوا أبا الهدى الصيادي[3] شيخ الطريقة

(١) الآستانة: من أسماء مدينة اسطنبول كما بالتركية الحديثة، واستنبول كما بالعثمانية، والمعروفة تاريخيًا باسم بيزنطة والقُسْطَنْطِينِيَّة والأسِتانة وإسلامبول.

(٢) جمال الدين الأفغاني، اختلف فيه المترجمون له بين مادح وقادح وأغتر به بعضهم ومن هؤلاء الأديب المنفلوطي، وخلاصة الكلام فيه أنه رجل باطني منتمي للمحافل الماسوني كما ظهر من الوثائق بعد موته، له أقوال منكرة منها قوله: بأن النبوة صناعة على طريقة ابن سنيا والفلاسفة المنتسبين للإسلام، والقول بوحدة والوجود وغير ذلك من الأقوال الردية. ينظر: لمحات في تاريخ العراق الحديث (٣/ ٣١٣) لسليم عنجوري، دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام لمصطفى فوزي (٦٣).

(٣) هو محمد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الرفاعي، متصوف، شيخ الطريقة الرفاعية في زمانه ولد في حماة سنة ١٢٦٦هـ، ودرس على مشايخ حلب العلوم الشرعية، ثم تولى ولاية خان شيخون وتدرّج في مواقع إدارية وتعليمية مهمة أخرى، حتّى قلّده السلطان عبدالحميد مشيخة المشايخ إلى انقلاب الاتحاديين عام ١٣٢٨هـ، حيث نُفي مع السلطان عبدالحميد إلى جزيرة=

الرفاعية؟ أم علماء العجم الذين يحجون إلى قبر الإمام كما يحجون إلى البيت الحرام؟ أم علماء الهند وبينهم أمثال مؤلف هذا الكتاب؟

يا علماء الأمة ورؤساءها عذرنا العامة في إشراكها، وفساد عقائدها، وقلنا: إن العامي أقصر نظراً، وأضعف بصيرة من أن يتصور الإلوهية إلا إذا رآها ماثلة في النصب، والتماثيل، والأضرحة والقبور.

فما عذركم أنتم وأنتم تتلون كتاب الله، وتقرأون صفاته ونعوته، وتفهمون معنى قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ (النمل:٦٥).

وقوله على لسان نبيه: ﴿ **قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا** ﴾ (الأعراف:١٨٨).

وقوله: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ** ﴾ (الأنفال:١٧).

=الأمراء (رينيكبور)، توفي عام ١٣٢٨هـ. ينظر: حلية البشر للبيطار (١/ ٣٦).

إنكم تقولون في صباحكم ومسائكم وغدوكم ورواحكم: (كل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف)[1].

فهل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجصصون قبراً، أو يتوسلون بضريح؟[2].

---

(١) هذا جزء من متن جوهرة التوحيد، متن في العقيدة الأشعرية وهو عبارة عن منظومة شعرية تتألف من (١٤٤) بيت شعري، لبرهان الدين اللقاني المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

(٢) صدق المؤلف رحمه الله فقد جاء النهي الصريح عن جابر أن النبي ﷺ قال: «نهى النبي ﷺ عن تقصيص القبور». أخرجه مسلم، ك: الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبور والبناء عليها، ح (٩٧٠) قال النووي: (التقصيص - بالقاف وصادين - هو التجصيص. والقصة - بفتح القاف وتشديد الصاد - هي الجص، وفي هذا الحديث كراهة تجصيص القبر والبناء عليه وتحريم القعود)، وقال الإمام مالك رحمه الله: (أكره تجصيص القبور). (المدونة الكبرى للإمام مالك ١/ ١٨٩)، وقال الشافعي رحمه الله: (أحب ألا يجصص، ولم أرَ قبور المهاجرين والأنصار مجصصة). (الأم ١/ ٣١٦)، ونهى أبو حنيفة عن ذلك كما=

وهل تعلمون أن واحداً منهم وقف عند النبي ﷺ، أو قبر أحد من أصحابه أو آل بيته، يسأله قضاء حاجة، أو تفريج هم؟

وهل تعلمون أن الرفاعي والجيلاني والبدوي أكرم عند الله وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين؟[1].

=نقل تلامذته. (الآثار لمحمد بن الحسن ٢/ ١٩١)، وقال ابن حزم: (ولا يحل أن يجصص القبر). (المحلى ٣/ ٣٥٦).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (من قال: إن أحداً من أولياء الله يقول للشيء: كن فيكون، فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فإنه لا يقدر على ذلك أحد إلا الله ﷻ، وليس كل ما يريده ابن آدم يحصل له).

وقد ذكر أئمة الطرق عن شيوخهم ما هو أعظم من هذا، فمثلاً: نسب القادرية للشيخ عبدالقادر الجيلاني الإحياء والإمامة، والرزق والنصر، بل وصفه بالواحد الفرد الكبير (القصيدة العينية الملحقة بفتوح الغيب للشيخ عبدالقادر جمع محمد سالم أيوب ص١٦٦- ١٧١، والقصيدة الغوثية (الخمرية) ص١٩٥- ١٩٨، ط/ الثانية دار الألباب ١٤١٣هـ دمشق)، ونسب النقشبندية لشيخهم على لسانه أنه يحي ويميت (الكواكب الدرية على الحدائق الوردية في آجلاء=

=السادة النقشبندية تأليف: عبدالمجيد الخاني ت/ محمد خالد ص٤٢٣، ٤٠٢)، وآخر من أئمة الضلال أطلق صفات الرب كلها على النبي ﷺ ألف كتاباً سماه «الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية». ينظر: الكمالات من تأليف الجيلي ت٨٣٢هـ، ت/ سعيد عبد الفتاح، ط/ عالم الفكر القاهرة، ونقل البحيري عمن ينسب للأزهر قوله في شكواه التي قدمها لأحمد البدوي: «فهذا التجاء واستنجاد برجل النبوة النجاد،... والغوث الأوحد، سيدي وولي نعمتي السيد البدوي أحمد:

أيرضيك ياغوث الورى وإمامهم * غبينة أهل الحق والحق ظاهر

فجئنا حماكم نرفع الأمر سيدي * ونطلب دين الله والله ناصر»

قال البحيري: «فأي شرك أصرح من هذا؟ يطلب من الشيخ دخوله في البقاء وهدايته، وصحة جسم الذي يحبهم، إلى آخر ما قال من أحد لا ينفع نفسه، ولا يدفع عنها مضرة» الحماسة الدينية في الرد على بعض الصوفية للبحيري، ت/ د. محمد الخميس، ص٥٢-٥٤، ط/ الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار العاصمة الرياض.

قال ابن القيم في الرد عليهم: «ومن المحال أن يكون دعاء الموتى، أو الدعاء بهم، أو الدعاء عندهم، مشروعاً وعملاً صالحاً، ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون،=

وهل تعلمون أن النبي ﷺ حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل، نهى عنها عبثاً ولعباً ـ حاشا وكلا ـ، أم مخافة أن تعيد للمسلمين جاهليتهم الأولى؟

وأي فرق بين الصور والتماثيل وبين الأضرحة والقبور، مادام كل منها يجر إلى الشرك ويفسد عقيدة التوحيد؟.

=ويفعلون ما لا يأمرون.

فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعاً وعشرين سنة،.... هل يمكن بشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح، أو حسن أو ضعيف، أو منقطع: أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسحوا بها، فضلاً أن يصلوا عندها، أو يسألوا الله بأصحابها، أو يسألوهم حوائجهم، فليوقفونا على أثر واحد، أو حرف واحد في ذلك، بلى يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك، وكلما تأخر الزمان وطال العهد، كان ذلك أكثر، حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ، ولا عن خلفائه الراشدين، ولاعن أصحابه حرف واحد من ذلك، بلى، فيها من خلاف ذلك كثير!». ينظر: إغاثة اللفهان (١/ ٢٠٣).

والله، ما جهلتم شيئا من هذا، ولكنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة، فعاقبكم الله على ذلك بسلب نعمتكم، وانتقاض أمركم، وسلط عليكم أعداءكم يسلبون أوطانكم، ويستعبدون رقابكم، ويخربون دياركم، والله شديد العقاب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين[1]. اهـ.

***

(١) مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الموضوعة الكاملة صفحة: (٣١١-٣١٦).